



الشعبوية...

هل تلتهم الديمقراطية؟

نقد لتصرفات الساسة السيئين يتحول تلقائياً إلى نقد مباشر للمؤسسات الديمقراطية نفسها.

وعليه فالديمقراطية، كما قدمنا، عمل شاق يستدعي الكثير من أولئك الذين ينخرطون فيه. فهو يتطلب أن يحترم الناس ذوي الآراء المختلفة عن آرائهم، بل أولئك الذين لا يبدون مثلهم. وهي تستلزم أن يُنقّي المواطنون مقادير كبيرة من المعلومات لفرز جيدها من السيئ، والصحيح من الزائف، مع الوافر من التفكير والانضباط والمنطق.

اليوم، وبفضل وسائل الاعلام الاجتماعية والتكنولوجيات الجديدة، يمكن لأي شخص لديه امكانه الوصول إلى الإنترنت نشر مدوّنه الخاص وحشد الاهتمام لقضيته -حتى لو كانت متجذرة في مؤامرة أو مستندة إلى ادعاء كاذب. فالناس يستقون الآن اخبارهم من وسائل الاعلام الاجتماعية بدلا من الصحف المتداولة أو شبكات الاخبار التلفزيونية الثلاث القديمة: (ABC و CBS و NBC)

حيث تزدهر الأخبار المصطنعة. وهو المكان الذي يستمتع فيه الرئيس ترامب تكراراً. وفي حين ان الديمقراطية تستلزم العديد من المتطلبات، تكثفي الشعبوية بمطلب واحد فقط: الولاء، الذي يستدعي الاستسلام للرؤية القومية الجماهيرية..

ولن تكون هذه حتى الآن، أو في المستقبل المنظور، لحظة مناسبة للتفاؤل. فما يحدث في جميع انحاء العالم يشير إلى أن اليمين المتطرف مستمر في المسيرة. وعندما يتعلق الأمر بالولايات المتحدة الامريكية، قد تكون المشكلة أكبر من الرجل الجذلي المقيم في البيت الأبيض، وستظل الديمقراطية تحت التهديد بغض النظر عن يُمسك بعنان السلطة.

في الديمقراطيات الراسخة مثل الولايات المتحدة، ستستمر الحوكمة الديمقراطية في التراجع الفاضح حيث تفشل في نهاية المطاف علي يد الشعبويين الذين يدعون أنهم يتميزون بمركز وسطي بين اليسار واليمين يعتبرونه الفيصل بين الخطأ والصواب.

النصف الأخير من القرن العشرين كان العصر الذهبي للديمقراطية. ففي سنة ١٩٤٥، ووفقاً لأحدي الدراسات الاستقصائية، لم تكن هناك سوى ١٢ ديمقراطية في العالم بأسره. لكنه بحلول نهاية القرن كان هناك ٨٧. وبعد ذلك حدث الانقلاب الكبير: ففي العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، توقف التحول إلى الديمقراطية بصورة مفاجئة ومشؤومة.. وانعكس اتجاهه بشكل تدريجي.

لقد استولى السياسيون اليمينيون الشعبويون على السلطة، أو هددوا بالإستيلاء عليها، في بولندا والمجر وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا والبرازيل والولايات المتحدة. وكما لاحظ روزنبرغ، "إذا اعتمدنا بعض المقاييس، فإن الحصة الشعبوية اليمينية من التصويت الشعبي في أوروبا عموماً قد تضاعفت أكثر من ثلاثه اضعاف من ٤٪ في ١٩٩٨ إلى حوالي ١٣٪ في ٢٠١٨. وفي ألمانيا، ازداد التصويت الشعبي اليميني حتى بعد نهاية الكساد الكبير، وبعد ان تراجع تدفق المهاجرين الذين دخلوا البلاد.

ما سبّب هذا التحول هو أن الديمقراطية والتمثيل هما في الواقع شيئان مختلفان. فالتمثيل ليس في حد ذاته ممارسة ديمقراطية. ولا تشكل تحركات الشعبويين بأي حال من الأحوال بؤادر معادية لمبدأ التمثيل. وطالما هم في المعارضة، فانهم يكررون الشيء القديم الذي تمارسه النخب الشريرة، بل قل النخب الفاسدة. زد على ذلك أن أي

هناك موجة شعبية معاصرة تغزو الآن البلدان الغربية وتلقي بظلالها علي بقية العالم. هذه الشعبوية لا يمكن ربطها بناخبين معينين، أو بلامح اجتماعية-نفسية محددة، أو ببعض "الأنماط السياسية". كما لا يمكننا أن نعزوها لايديولوجية محده بوضوح مثل الاشتراكية، الليبرالية أو الليبرالية الجديدة. لكن الشعبوية تتمظهر من منطلق داخلي معروف وقابل للتحديد: فالشعبيون ليسوا بالضرورة مُعادين فقط ل "النخب" - أي الخبراء والشخصيات العامة الذين يساعدون من حولهم علي التوغل في المسؤوليات الثقيلة التي تواكب الحكم الذاتي، مع أنهم أساساً مناهضين للتعددية-. لأن ادعائهم الثابت أنهم فقط من يمثلون الشعب الحقيقي.

خلال مؤتمر في لشبونه مؤخراً، أثار شون روزنبرغ، الأستاذ في جامعة يوسا إيرفين الأمريكية، جمهوره بتحذير لافتراض أساسي حول أمريكا والغرب. وكانت نظريته ان الديمقراطية اليوم تلتهم نفسها -ولن تدوم طويلاً.

وبقدر ما قد يرغب منتقدو الرئيس ترامب الليبراليون في وضع علل أمريكا أمام بابه، يقول روزنبرغ ان الرئيس ليس سبب سقوط الديمقراطية - حتى لو كانت حملته الشعبوية الناجحة المناهضة للمهاجرين أحد اعراض تراجع الديمقراطية -. "فمن يلام هم نحن"، علي حد قوله، "لأننا الشعب".

ولا ريب في أن الديمقراطية عمل مستمر وشاق. وبقدر ما يتم تهيمش "النخب" المجتمعية بشكل متزايد، كذلك اثبتت فئات الشعب انها غير مجهزة معرفياً وعاطفياً لاجتراح ديمقراطية حسنة الأداء. ونتيجة لذلك، انهارت المركزية وتحول الملايين من الناخبين المحيطين والحائرين بسبب يأسهم، إلى قوائم الشعبويين اليمينيين.

